دلالة السياق القرآني وأثرها في توجيه معاني الآيات من خلال كتاب "التفسير البياني" للدكتورة عائشة عبد الرحمن

The significance of the Quranic context and its impact on directing the meanings of the verses Through the book "The Graphic Interpretation" by Dr. Aisha Abdel Rahman

أ. أحمد بزيد بارك الله*

مؤسسة دار الحديث الحسنية (المغرب)

تاريخ الإرسال: 12/ 12/ 2019 تاريخ القبول: 05/ 02/ 2020 تاريخ النشر: 3/03/2020

الملخص:

لا يخفى على المتأمل في التراث التفسيري للعلماء والأئمة من سلف الأمة وخلفها حضور اعتبار السياق في تفسير نصوص الكتاب العزيز، وتبعا لذلك يأتي هذا البحث محاولا الكشف عن معالم الإعتماد على هذه القرينة في التفسير وأثره في التوجيه والترجيح بين معاني الآيات من خلال كتاب (التفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن)، معتمدا في ذلك منهجا متكاملا يزاوج بين أدوات الوصف والإستقراء والتحليل، محاولا الكشف عن مكنونات هذا الكتاب ومضامينه ومعاقده ومصادره، ثم استقراء مواطن اعتماد المؤلفة فيه على السياق في تفسير الآيات القرآنية والترجيح بين المعاني والأقوال التفسيرية المختلفة بشأنها ونقدها في ضوء ذلك، كما يتوقف البحث كذلك عند تحليل السياق وأنواعه وأدواره عند الدكتورة عائشة عبد الرحمن، معضدا ذلك بأمثلة من تفسيرها لبعض الآيات.

الكلمات المفتاحية: سياق؛ قرآن؛ معاني؛ التفسير البياني؛ عائشة عبد الرحمن.

* المؤلف المرسل

Abstract:

There is no doubt that context has been key to the commentary and explanation (Tafseer) of the Quran as indicated by the scholarly body of explanation produced by Muslim scholars and Imams, past and present. This research explores how context has been deployed in the commentary tradition and examines how its use determined the validity of different interpretations of the Quran. Towards this end, it focuses on Aisha Abderahman's book "Rhetorical Commentary," and adopts a holistic approach that combines inductive description with analysis to fathom out the book's assumptions and map out its sources.

This research will study how the book uses context to explain and comment on various Quranic chapters, weigh out the accuracy of interpretations of the meaning of the Quran and engage critically with them. It also tackles how context is analyzed in the book, addressing its roles and types through examples from the book itself.

Keywords: context; Wedding; meanings; graphic interpretation; Aysha Abdulrahman.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الأواب، وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار ذوي الألباب، وبعد:

كان وما يزال فهم النصوص الشغل الشاغل للعلماء الراسخين والخبراء الدارسين، باعتباره الهدف والغاية من قراءتها وتدبرها، ولا ريب أن من أهم الوسائل والقواعد المعرفية المعينة على بلوغ هذا المرام: قاعدة السياق، فهي مبدأ ومقوم جوهري هام في تأويل معنى النص وتوجيه مقاصد ودلالات الخطاب.

ويستعمل مصطلح السياق في مجالات علمية وسياقات معرفية وتداولية متعددة[1]، ترتبط جميعها بتحليل الخطاب وفهم معانيه ودلالته، ويهمنا منها في هذا المقام مجال النصوص الشرعية وتفسيرها.

وقد اعتنى الأصوليون وأئمة التفسير بهذه القرينة وما ترشد إليه من دوال في فهم المراد من كلام الله تعالى، سواء بتأكيد المعنى المتبادر منه، أو منع تأويله، أو ترجيح بعض المقاصد على بعض، أو تبيين معاني الجمل التي يكتنفها غموض، وفي ذلك توجيه وتسديد لمعنى النص نحو غايته المقصودة.

ومبنى اعتبار السياق عند العلماء على أن (كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزءة، ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وفلانة بعيدة مهوى القرط، وما لا نحصر من الأمثلة، لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول؛ فما ظنك بكلام الله وكلام رسوله ﷺ ؟)[2].

وفي ضوء ذلك قرر الأصوليون وعلماء العربية أن معرفة السياق من طرق استقراء المعاني والدلالات، وجعلوا لذلك قاعدة سموها "الحكم بالمدلول المسوق فيه على المراد من المسوق" أي على دلالته وما يستفاد منها على الوجه الراجح لا المرجوح والمحتمل، ورووا بناء على هذا الأساس الدلالي وجوها كثيرة من الاستدلال المفيد لمراد المستدل ظاهرا بحكم السياق وسبب الورود[3].

فمثلا من المعاني المتبادرة إلى الذهن الذم المنسوب للشعراء في قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالايفعلون ﴾ [الشعراء: 223 – 225] .

وعند تدبر سياق ورود الآية يتبين أن الكلام ليس ذما للشعراء بحكم السياق والقرينة، فالسياق هو نفي دعوى المشركين القائلة ببشرية القرآن واختلافه، وهو يبدأ من قوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ [الشعراء: 210]، ففيه نفي لتقول القرآن وعدم إنزاله لا ذم للشعراء مطلقا، إذ في الشعر من الحكم ووالأمثال وبدائع القول ما لايأتي عليه المداد عدا، وذلك بقرينة قول النبي ﷺ (إن من الشعر لحكمة)[4]: أي قولا صادقا مطابقا للحق[5] .

وفي ضوء أهمية القرينة السياقية في سلامة الاستدلال على معاني الآيات دأب الأئمة من المفسرين على النظر في سياق ورود الألفاظ والكلمات، ومناسبة الدلالات لبعضها، ومراعاة السياق في ترجيح المعاني المحتملات، أو تقرير الواضحات.

يقول الإمام العز بن عبد السلام مشيرا إلى بعض وجوه فوائد السياق: (السياق مرشد إلى تبين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذما واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال) [6]. ويمثل لهذا بقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ ومعناه: الذليل المهان، لوقوعه في سياق الذم، وكذلك قول قوم شعيب ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ أي السفيه الجاهل لوقوعه في سياق الإنكار عليه، وكذلك ﴿ إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ لوقوعه في سياق ذمهم بإضلال الأتباع) [7] .

أهمية البحث ومنهجه: لا يخفى على المتأمل في التراث التفسيري للعلماء والأئمة من سلف الأمة وخلفها حضور اعتبار السياق في تفسير نصوص الكتاب العزيز[8]، وتبعا لذلك يأتي هذا البحث محاولا الكشف عن معالم الإعتماد على هذه القرينة في التفسير وأثره في التوجيه والترجيح بين معاني الآيات من خلال كتاب (التفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن)، معتمدا في ذلك منهجا متكاملا يزاوج بين أدوات الوصف والإستقراء والتحليل، محاولا الكشف عن مكنونات هذا الكتاب ومضامينه ومعاقده ومصادره، ثم استقراء مواطن اعتماد المؤلفة فيه على السياق في تفسير الآيات القرآنية والترجيح بين المعاني والأقوال التفسيرية المختلفة بشأنها ونقدها في ضوء ذلك، كما يتوقف البحث كذلك عند تحليل السياق وأنواعه وأدواره عند الدكتورة عائشة عبد الرحمن، معضدا ذلك بأمثلة من تفسيرها لبعض الآيات.

خطة البحث: ينتظم تناول الموضوع ضمن هذا البحث في فصلين رئيسيين، يندرج تحت كل واحد منهما مباحث، على النحو الآتي:

1. دلالة السياق القرآني: مفهومها وأنواعها.

1.1 مفهوم دلالة السياق القرآني لغة واصطلاحا.

2.1 أنواع دلالة السياق القرآني.

2. أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معاني الآيات من خلال كتاب (التفسير البياني) للدكتورة عائشة عبد الرحمن.

1.2 التعريف بالدكتورة عائشة عبد الرحمن وكتابها:(التفسير البياني).

2.2 أنواع السياق القرآني وأدواره في تفسير الدكتورة عائشة عبد الرحمن.

3.2 أثر السياق القرآني في توجيه معاني الآيات ضمن سورتي الضحى، والشرح.

1. دلالة السياق القرآني (مفهومها وأنواعها):

1.1 مفهوم دلالة السياق القرآني وأنواعها:

1.1.1 دلالة السياق لغة واصطلاحا:

أ- التعريف بمفرادت (دلالة السياق) في اللغة:

- الدلالة لغة: جاء في مادة (دل) قول ابن فارس: (الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلانا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة، والأصل الآخر قولهم: تدلدل الشيء، إذا اضطرب)[9].

وورد في المفردات تعريف الدلالة على أنها: (ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، الرموز، والكتابة، والعقود في الحساب) [10].

وفي لسان العرب لابن منظور أن وقد دله على الطريق يدله دَلالة ودِلالة ودُلولة) [11]، فهي إذن مثلثة الفاء كما عند الفيروز آبادي في القاموس المحيط [12].

- السياق لغة: أصل كلمة السياق سواق، فقد قلبت الواو ياء لكسرة السين[13]، وهما مصدران من ساق يسوق[14]، وقد ورد في لسان العرب بمعان عدة، منها:

- معنى الحدو والتتابع: قال ابن فارس: (السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء)[15]، كما ورد في مادة (سوق) قول ابن منظور: « ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق، شدد للمبالغة، وحاد يحدو الإبل فهو يسوقهن بحدائه، وسواق الإبل يقدمها، ومنه: رويدك سوقك بالقوارير. وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة»[16].

- ومعنى نزع الروح: « فيقال فلان في السياق أي في النزع»[17]، و« السياق: سوق الروح من أرجاء البدن إلى الخروج منه »[18] .

- وبمعنى المهر: قال الفيروزابادي: « السياق، ككتاب: المهر »[19] وجاءَ في لسان العرب: « ساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما. وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها. والسياق: المهر »[20]

- معنى التسلسل بلا انقطاع، قال الجواهري : (يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد، أي بعضهم على إثر بعض ليست بينهم جارية) [21]

- معنى الإرسال: « يقال ساق الله إليه خيرا ونحوه بعثه وأرسله وساقت الريح التراب والسحاب رفعته وطيرته »[22]

- معنى سرد الكلام وتتابعه: فيقال « ساق الحديث: سرده وسلسله، وإليك يساق الحديث: يوجه»[23] . كما يقصد بسياق الكلام: « تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»[24] .

ومما سبق نجد أن استعمال السياق يدور على معاني التتابع والتوالي والاتصال: فسياق الكلام تتابعه وتواليه وأسلوبه الذي يجري عليه، وسوق الابل والدواب من تتابعها واتصالها بعض، لذلك فإن مهر المرأة كان الأصل فيه أن يكون من الإبل والدواب فتساق إليها، وكذا سياق المريض فكأن

الروح تجمع وتنساق لتخرج من البدن، وفي قولهم (ولدت فلانة ثلاثة بينين على ساق واحدة لم يفصل بينهم بجارية) معنى الاتصال والتسلسل بلا انقطاع .

ب – تعريف دلالة السياق اصطلاحا:

يعبر العلماء عن دلالة السياق بمرادفات كثيرة منها (قرينة السياق) أو (القرينة السياقية) [25]، ويقصدون بها المؤشرات التي قد يحتف الخطاب بها تسبقه أو تلحقه، إذا كانت من داخل الخطاب، وقد تكون أمورا خارجية مثل الزمان والمكان وعناصر الواقع المختلفة، ومناسبات أسباب النزول بالنسبة للقرآن المجيد، أو أسباب الورود بالنسبة للسنة النبوية [26]، ومن تعريفاتهم لهذا المصطلح[27] قولهم أن دلالة السياق هي مايدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه، أوهي مايؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه[28].

2.1.1 تعريف دلالة السياق القرآني:

اختلف الدارسون في تعريف دلالة السياق القرآني، ونورد في هذا الصدد قولين في تعريفها[29] :

- القول الأول: يرى أن معنى دلالة السياق القرآني مقصورة على المقال دون الحال، ، وانطلاقا من ذلك يعرف صاحب هذا الرأي دلالة السياق القرآني بأنها: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال)، أو هي (بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها) [30] .

- القول الثاني: يوسع مفهوم السياق القرآني، فيشمل المقال المتمثل بالسباق واللحاق، والحال أو" المقام".

فتكون بذلك دلالة السياق القرآني منقسمة إلى قسمين :

– الأول سياق المقال: ويتضمن السباق واللحاق.

- والثاني: سياق الحال (المقام): ويعنون به ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثر في فهمه كحال المتكلم والمخاطب، والغرض الذي سيق له ...

وفي ضوء ذلك يعرفون السياق القرآني بأنه": ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه :من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه)[31].

كما نجد بعض الباحثين يسمي دلالة السياق القرآني بتعبير آخر هو (دلالة السياق في التفسير) ويعرفها بقوله: «هي بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لايخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم به ».

وبعد إعمال النظر في التعاريف المختلفة لدلالة السياق القرآني، يمكن أن نخلص إلى أنها مبنية عموما على عنصرين أو ركنين هامين:

- الأول: النظر إلى ما قبل النص المفسر: سواء كان أكثر من آية أو أقل من جملة وهو المسمى(سياق الآية).

- الثاني: النظر إلى مابعد النص المفسر: سواء كان أكثر من آية أو أقل من جلمة (وهو المسمى لحاقها).

وبالتأمل في بعض أقوال المفسرين نجد إعمالا واضحا لدلالة السياق القرآني في التفسير، ونسوق لذلك أمثلة توضح أثر اعتبار ركني السياق المذكورين آنفا في تفسير الآيات :

- أمثلة في النظر إلى ما قبل الآيات :

من الأمثلة على النظر إلى سباق الآية ما أورده الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾[32]، حيث ذكر في تأويلها قولين: (الأول ليس البر الصلاة وحدها، ولكن البر الخصال

التي أبينها لكم) فيكون الخطاب هنا للمسلمين. والثاني: (كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق، فنزلت ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾)

ثم قال أبوجعفر مبينا معنى الآية بماقبلها: (وأولى هذين القولين بتأويل الآية، أن يكون عنى بقوله:﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾، اليهود والنصارى. لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم، والخبر عنهم وعما أعد لهم من أليم العذاب. وهذا في سياق ما قبلها، إذ كان الأمر كذلك، -"ليس البر"، - أيها اليهود والنصارى، أن يولي بعضكم وجهه قبل المشرق وبعضكم قبل المغرب، ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب﴾ الآية [33].

ومن الأمثلة أيضا في تفسير الآيات بما قبلها، ما أورده الطبري عن يسيع الحضرمي قال: كنت عند علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أرأيت قول الله:"ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا"، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له علي: ادنه، ادنه! ثم قال:﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ [النساء / 141]، يوم القيامة[34].فبين علي رضي الله عنه أن محل اشكال السائل محدد في الآية باليوم الآخر بدلالة السباق، أي ما ورد قبل الآية المسؤول عنها، وهو قوله تعالى ﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ .

- أمثلة في النظر إلى ما بعد الآيات :

من ذلك ماورد عن محمد بن أبي معشر، قال: أخبرني أبو معشر، قال: سمعت عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يذاكر محمد بن كعب في قول الله ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ فقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: خير صفوف الرجال المقدم، وشر صفوف الرجال المؤخر، وخير صفوف النساء المؤخر، وشر صفوف النساء المقدم. فقال محمد بن كعب: ليس هكذا، ولقد علمنا المستقدمين منكم: الميت والمقتول، والمستأخرين: من يلحق بهم من بعد، وإن ربك هو يحشرهم، إنه حكيم عليم، فقال عون بن عبد الله: وفقك الله وجزاك خيرا.

فتبين أن محمد بن كعب استدل بجملة (وإن ربك هو يحشرهم) اللاحقة، على معنى المستقدم والمستأخر وأنه المقتول والحي الذي يلحق به من بعده، لقوله تعالى (يحشرهم)، وفيه دلالة على البعث[35] .

ومن الامثلة كذلك ما جاء في تأويل قوله تعالى: ﴿ قالوا الآن جئت بالحق ﴾، قال الإمام الطبري: (اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ . فقال بعضهم: معنى ذلك: الآن بينت لنا الحق فتبيناه، وعرفنا أية بقرة عنيت، وقال بعضهم: ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن القوم أنهم نسبوا نبي الله موسى صلوات الله عليه، إلى أنه لم يكن يأتيهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك)

ثم بين رحمه الله أن لحاق الآية الدال على ذبحهم للبقرة – وهو قوله تعالى ﴿فذبحوها﴾ – موضح أن المراد بالحق: الوضوح والبيان، وليس الحق الذي هو الباطل، فيكون الأمر حينئذ تكذيبا لموسى . قال رحمه الله: (وأولى التأويلين عندنا بقوله: ﴿قالوا الآن جئت بالحق)، هو أن تأويله: الآن بينت لنا الحق في أمر البقر، فعرفنا أيها الواجب علينا ذبحها منها) [36] .

2.1 أنواع دلالة السياق القرآني:

تختلف أنظار الدارسين في بيان أنواع دلالة السياق القرآني، ونجد في هذا الصدد عدة اجتهادات، منها :

- تقسيم السياق القرآني إلى نوعين داخلي وخارجي، يتضمن كل واحد منهما مستويات وأنماط سياقية متنوعة، على نحو ما نفصله[37] :

فالسياق الداخلي: يتضمن أنماطا كثيرة منها السياق النحوي (ويعنى بالعلاقات بين الكلمات ووظائفها ومواقعها، والتقديم والتأخير في الآيات)، والسياق الصوتي (ويفهم من خلال التنغيم وهو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والإنخفاض في درجة الجهر في الكلام)، والسياق الإيقاعي (وهو مرتبط بالفواصل القرآنية)، والسياق القصصي، والسياق المعجمي.

وأما السياق الخارجي: فنجد ضمنه السياق الاجتماعي، والسياق التاريخي، وسياق الحال أو سياق المقام.

ويمكن القول اجمالا بأن السياق الداخلي مرتبط بالمرجعية الكاشفة لدلالة النص، والسياق الخارجي مرتبط المرجعية المحيطة بالنص، والجامع بينهما أن كلا النوعين له أثر في تحديد المعنى .

❖ تقسيم السياق القرآني إلى أربعة أقسام هي:

1. سياق الآية: ويكون في حال الخلاف في معنى الآية، أو وجود لفظ مشترك فيها لايتضح معناه إلا بمعرفة سياقها. ومثال ذلك لفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام، والعفاف والحرية، والتزويج، فيتحدد المعنى المراد بدلالة السياق في الآية . ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ﴾ [النساء / 25]، يتبين بدلالة السياق في الآية أن المراد بالإحصان التزويج. وهو اتفق على تفسيره من المتقدمين الإمام ابن كثير[38] ومن المتأخرين الإمام محمد الأمين الشنقيطي[39] .

2. سياق النص: يراد به المقطع المتحد في الغرض، ويتضح كثيرا في سياق القصص القرآني، فيكون ترجيح المعنى بناء على سياق النص، ومثال ذلك ما فسر به الإمام أبو جعفر لنحاس قوله تعالى: ﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، قال رحمه الله: « في معناه قولان قال ابن زيد: يبتدئ خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة، وعن ابن عباس يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة. قال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم »[40]

3. سياق السورة : ويقصد به مناسبة السورة والغرض أو القضية الرئيسية التي تدور عليها، ونضرب لهذا مثالا بما أورده ابن القيم رحمه الله من التنيه على مناسبة الأمثال التي وردت في سورة التحريم لسياق السورة، فإن الله أورد فيها شأن امرأة نوح وامرأة لوط، فيبين رحمه الله مناسبة هذا لسياق ذكر أزواج النبي ﷺ والتحذير من تظاهرهن

عليه، فيقول: (في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ والتحذير من تظاهرهن عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما) [41] .

4. سياق القرآن: ويسميه بعض الباحثين بالسياق القرآني، ويقصد به أمرين:

أحدهما الأغراض والمعاني الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته، والآخر هو الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام، ولحكمة بلاغية تتصل بأغراض السورة، ويضرب لذلك مثلا يقارن فيه بين سياق آتين احدهما في سورة (يس)، والأخرى في سورة (القصص)، فيقول: «أما في الآيات فمثل قوله تعالى ﴿ وجاء رجل من اقصا المدينة يسعى ﴾[القصص / 20]، وقوله: ﴿ وجاء من اقصا المدينة رجل يسعى ﴾[يس /20]، فالتركيز فيما يظهر في آية يس على الرجل ذاته، أما التركيز في آية القصص فهو على سعي الرجل إذ السياق في الأولى يركز في قصة موسى عليه السلام على ضرورة السعي لإنقاذه، والسياق في الثانية (سورة يس) يركز على الرجل المؤمن لأهمية موقفه من أهل قريته ودعوة الرسل ومآل أمره»[42] .

2. دراسة دلالة السياق القرآني من خلال تفسير الدكتورة عائشة بنت الشاطئ:

1.2 التعريف بالدكتورة عائشة عبد الرحمن وكتابها الموسوم بـ:(التفسير البياني للقرآن الكريم):

1.1.2 التعريف بالدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

عائشة بنت عبد الرحمن الشهيرة ببنت الشاطئ[43]، ولدت بإحدى قرى دمياط بمصر سنة 1913م، ونشأت في بيت عرف بالعلم والصلاح والتصوف؛ حيث كان أبوها أزهريا متصوفا[44].

بدأت دروسها في سن الخامسة، واستطاعت حفظ القرآن الكريم كاملا في سن مبكرة، وكان والدها يرفض أن تتلقى ابنته الصغيرة تعليما غير ديني، غير أن إصرار عائشة ووساطة جدها جعل الأب يوافق -على كره- أن تلتحق ابنته بالمدرسة، واشترط أن تتابع دروسها الدينية في المنزل، وأن تنقطع نهائيا عن المدارس عندما تشارف البلوغ.

استطاعت عائشة أن تنهي دراستها الابتدائية بتفوق، وكافحت كفاحا مجيدا حتى تكمل تعليمها رغم اعتراض والدها، والتحقت بمدرسة المعلمات بطنطا وحصلت على شهادتها سنة 1929م، ثم انتقلت إلى القاهرة وعملت في وظيفة كاتبة بكلية البنات بالجيزة، واستطاعت في تلك الفترة أن تراسل عددا من الصحف ونشرت مقالات في مجلة النهضة النسائية التي كانت ترأسها لبيبة أحمد، ونشرت مقالات في الأهرام تحت اسم مستعار هو "بنت الشاطئ"، وحصلت على شهادة البكالوريا التي تؤهلها لدخول الجامعة بعد سنوات من الجهاد والمثابرة[45].

التحقت بالجامعة المصرية وتخرجت في كلية الآداب قسم اللغة العربية سنة 1939م، حصلت " بنت الشاطئ" على شهادة الماجستير سنة 1941م، عن موضوع " الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري"، وفي عام 1950م حصلت على شهادة الدكتوراة في تحقيق "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري. وقد نصحها زوجها أمين الخولي[46] بدراسة الأدب واللغة التي نزل بها القرآن الكريم، فإذا تحقق لها ذلك اتجهت إلى مجال الدراسات الإسلامية، فاستجابت للنصيحة وأمضت 20 عاما في دراسة الأدب قبل أن تخوض مجال الدراسات الإسلامية.

تدرجت في المناصب الجامعية حتى أصبحت أستاذة التفسير والدراسات العليا بجامعة القرويين بالمغرب، والتي درست بها حوالي 20 عاما، كما حاضرت في عدد من الجامعات بالعالم العربي، واضافة لذلك فقد حصلت على عدة جوائز تقديرية منها جائزة الدولة التقديرية سنة 1978م، وجائزة الأدب من الكويت سنة 1988م وجائزة الملك فيصل سنة 1994م .

لعائشة عبد الرحمن إنتاج علمي وأدبي كبير اقترب من أربعين كتابا شملت الدراسات اللغوية والأدبية، والتاريخية، والحديثية، والقرآنية :

- في مجال الأدب:

لها عدة أعمال أدبية، منها: «سيد العزبة : رواية مصرية واقعية»[47]، و«رجعة فرعون»[48]، و« امرأة خاطئة»[49]، ومجموعتين قصصيتين: الأولى نشرت بعنوان: " سر الشاطئ "[50]، والثانية حملت اسم: "صور من حياتهن: في جيل الطليعة من الحريم إلى الجامعة "[51]، كما كتبت رواية « على الجسر: رحلة بين الحياة والموت »[52] سجلت فيه طرفا من سيرتها الذاتية، وحررتها بعد وفاة زوجها أمين الخولي

ولها أيضا كتاب هام بعنوان: (قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر)[53] .

- في مجال تحقيق النصوص :

قدمت للمكتبة العربية والإسلامية عدة تحقيقات وشروح منها :

- تحقيق وشرح" رسالة الغفران"[54] لأبي العلاء المعري (ت 449 هـ) .
- تحقيق رسالة (الصاهل والشاحج)[55] لأبي العلاء المعري .

- في مجال الدراسات القرآنية :

- الإعجاز البياني في القرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية[56]
- مقال في الإنسان: دراسة قرآنية[57]
- الشخصية الاسلامية دراسة قرآنية[58]
- من أسرار العربية في البيان القرآني[59]
- القرآن والتفسير العصري

- في مجال الدراسات الإسلامية :

- مع المصطفى ﷺ.
- نساء النبي ﷺ.
- تراجم سيدات بيت النبوة .

1.1.2 كتاب التفسير البياني للقرآن الكريم:

نتناول في هذا المطلب الجوانب المنهجية والعلمية في كتاب (التفسير البياني) من خلال المحورين التاليين؛ أولهما: المكونات المنهجية للكتاب، وثانيهما: المصادر العلمية للكتاب .

المحور الأول: المكونات المنهجية للكتاب .

ظهرت أولى طبعات كتاب التفسير البياني سنة 1962، وقد اعتمدنا في هذا البحث الطبعة السابعة الصادرة عن دار المعارف بمصر سنة 1999، وتتألف من جزأين، يتضمن الأول نص مقدمة الطبعة الخامسة للكتاب، وضمنه تتحدث الدكتور عائشة عن جهودها العلمية لدراسة القرآن الكريم في نصه المحكم وبيانه المعجز، سواء على مستوى التأليف والتصنيف، أو المشاركات في المؤتمرات والندوات الدولية[60]، ثم تبين معالم منهجها في التفسير، وهو المنهج الذي تابعت فيها أستاذها أمين الخولي في كتابه (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والأدب والتفسير)، ومن أهم قواعده[61] :

- التناول الموضوعي للقرآن الكريم بجمع مايراد فهمه من الآيات والسور في الموضوع المدروس.
- ترتيب الآيات على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان، والإستئناس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست أسباب النزول، مع الأخذ بقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب) .
- الإنطلاق من أن اللغة العربية هي لغة القرآن وفي ضوء ذلك ينبغي في فهم دلالات الألفاظ التماس الدلالات اللغوية الأصيلة التي تعطي الحس العربي للمادة في مختلف استعمالاتها المجازية

والحسية، مع لمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله .

– الإحتكام إلى سياق النص في القرآن وعرض أقوال المفسرين عليه، فيقبل منها ما يقبله النص ويعرض عما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الآهواء المذهبية وبدع التأويل.

– الإحتكام إلى القرآن العربي في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية، وعرض أقوال البلاغيين والنحويين على القرآن لا العكس .

وفي نهاية عرضها لهذه القواعد التي اعتمدتها عمليا في كتابها هذا، والتزمتها منهجا في تناول معاني الآيات والسور تعليلا وترجيحا وتوضيحا، عرجت بنت الشاطئ في ختام مقدمتها هذه على مرحلة انتقالها من التدريس بقسم اللغة العربية بمصر إلى التدريس بجامعة القرويين، حيث أن اهتمامها في المرحلة الأولى تركز على توثيق علوم العربية بالبيان القرآني، بينما اتجه في المرحلة الأخرى إلى توثيق علوم الإسلام بالعربية لغة وبيانا (من حيث لايصح لدارس فقه الإسلام جون رسوخ في علوم العربية، كما لايصح له رسوخ في العربية دون دراية بعلوم القرآن والإسلام) [62].

وقد جسدت توجهها الأخير ضمن مجال الدراسات القرآنية في المغرب، من خلال بحوث طلابها في الدراسات العيا بجامعة القرويين، ومنهم :

- الأستاذ عبد السلام الكنوني: الأستاذ المحاضر بكلية أصول الدين بتطوان، أنجز رسالته الأولى حول (المدرسة القرآنية بالمغرب من الفتح إلى ابن عطية)، وأطروحته للدكتوراه في موضوع: (مختصر تفسير يحيى بن سلام لأبي عبد الله بن أبي زمنين: دراسة وتحقيق).
- الأستاذ محمد الراوندي: الأستاذ المساعد بدار الحديث الحسنية، والذي أنجز رسالته الجليلة حول الصحابة والشعراء، وحرر فيها فهم المؤلفة لقضايا الإسلام والشعر وصحح أخطاء الدارسين الذين تناولوا هذه القضايا قبل أن يصح علم بالجيل الإسلامي من الشعراء والصحابة .

- الأستاذ عبد الكبير المدغري: الأستاذ المحاضر بكلية الشريعة بفاس، أنجز أطروحته للدكتوراه حول (الناسخ والمنسوخ للقاضي أبي بكر بن العربي: تحقيق ودراسة)

وفضلا عن هذه المقدمة، يتضمن الجزء الأول من الكتاب مقدمة الطبعة الأولى كذلك – التي تلي المقدمة السابقة – وضمنها تعرض المؤلفة لدوافع تأليف الكتاب، المنبثقة من أمرين أساسيين: الأول اقتصار الدراسات العربية في الجامعات على اختيار نصوص من شعر العربية ونثرها، واشتغال عموم الدارسين في ميدان الأدب بالمعلقات والمفضليات ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات، عن القرآن الكريم (الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية الخالدة)، فتركوا بذلك (هذا الكنز الغالي) لدرس التفسير وقل منهم من حاول أن ينقله إلى مجال الدراسات القرآنية[63] .

وأما الدافع الثاني فكون الدرس التفسري تقليديا أثريا لايتجاوز فهم النص القرآني على نحو ماكان يفعل المفسرون من قديم، تقول الدكتورة عائشة موضحة هذا السبب: (كان المنهج المتبع في درس التفسير – إلى نحو ربع قرن من الزمان – تقليديا أثريا، لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم، حتى جاء شيخنا الإمام "الأستاذ أمين الخولي" فخرج به عن ذلك النمط التقليدي، وتناوله نصا لغويا بيانيا على منهج أصله، وتلقاه عنه تلامذته وأنا منهم)[64].

وإضافة لذلك تقدم بنت الشاطئ لمحة عن جهود المكتبة القرآنية وأنواعها ومجالاتها، كما تبسط بعض ملامح وأسس منهجها في تناول النص القرآني الذي استفادته –كما قدمنا – من أستاذها الخولي، وتلخص محاولتها في هذا الكتاب قائلة: (وما أعرضه هنا، ليس إلا محاولة في هذا التفسير البياني للمعجزة الخالدة، حرصت فيها – ما أستطعت – على أن أخلص لفهم النص القرآني فهماً مستشفاً روح العربية ومزاجها، مستأنسة في كل لفظ، بل في كل حركة ونبرة، بأسلوب القرآن نفسه، ومحتكمة إليه وحده، عندما يشتجر الخلاف، على هدى التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه، والتدبر الواعي لدلالة سياقه، والإصغاء المتأمل، إلى إيحاء التعبير في البيان المعجز)[65]

وأما بخصوص منهجها في تناول السور القرآنية فقد تناولت في الجزء الأول سبع سور هي: الضحى والشرح والزلزلة والعاديات والنازعات والبلد والتكاثر، وأما الجزء الثاني فأفردته لتفسير سور: العلق والقلم والعصر والليل والفجر والهمزة والماعون .

واعتمدت في تناولها ضوابط التزمتها في بداية كل سورة، حيث تبين: طبيعتها أمكية أم مدنية، وترتيب نزولها، وسببه مع ايراد الروايات والأقوال المختلفة فيه، وتعلل اختيارها لهذه السور القصار بكونها ملحوظ فيها وحدة الموضوع وأكثرها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية[66] .

المحور الثاني: المصادر المعتمدة في الكتاب مصنفة وفق مجالاتها :

- كتب التفسير: فمنها : جامع البيان لابن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ، و مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي المتوفى سنة 606 هـ، و تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري المتوفى سنة 850 هـ، والكشاف للزمخشري المتوفى سنة 538هـ، وتفسير جزء عم للإمام محمد عبده المتوفى سنة 1323 هـ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي المتوفى سنة 885 هـ، ومجمع البيان في تفسير القرآن أبي علي لطبرسي المتوفى سنة 502 هـ، وتفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، والتبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية، المتوفى سنة 751 هـ .

- كتب علوم القرآن : مثل الإتقان في علوم القرآن للسيوطي المتوفى سنة 911 هـ، والتيسير لأبي عمرو الداني المتوفى سنة 444 هـ .

- كتب السنة والحديث: منها: صحيح البخاري المتوفى سنة 256 هـ، وصحيح مسلم المتوفى سنة 197 هـ، وموطأ الإمام مالك المتوفى سنة 297 هـ، وسنن ابن ماجه المتوفى سنة 275هـ.

- كتب السيرة النبوية: منها: السيرة النبوية لابن إسحاق المتوفى سنة 151 هـ، وسيرة ابن هشام المتوفى سنة 213 هـ، وعيون الأثر لابن سيد الناس المتوفى سنة 734 هـ.
- معاجم اللغة والنحو : مثل: المفردات للراغب الأصفهاني المتوفى سنة 502 هـ، و معاني القرآن للفراء المتوفى سنة 207 هـ، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المتوفى سنة 761هـ، وفروق اللغوية لأبي هلال العسكري المتوفى نحو 395هـ، ولسان العرب لابن منظور المتوفى سنة 711هـ، والصحاح للجوهري المتوفى سة 393 هـ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي المتوفى سنة 817 هـ، وأساس البلاغة للزمخشري المتوفى سنة 538هـ.

2.2 أنواع السياق القرآني وأدواره في تفسير الدكتورة عائشة عبد الرحمن:

1.2.2 أنواع السياق القرآني في تفسير بنت الشاطئ:

لا تخرج أنواع السياق القرآني في تفسير بنت الشاطئ عن نمطين أساسيين، هما: سياق عام: وهو سياق استعمال اللفظ القرآني في المصحف، (وهو المسمى ايضا سياق القرآن)، وسياق خاص: ويتضمن مستويين هما سياق السورة، وسياق الآية .

وإلى هذين النوعين تشير المؤلفة في معرض حديثها عن منهجها في التفسير: (والمنهج المتبع هنا، هو الذي خضعت له فيما قدمت من قبل بضوابطه الصارمة، التي تأخذنا باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله التماسا لسرها البياني) [67] .

- سياق القرآن، أو السياق العام في المصحف :

وفيه تتناول المؤلفة استعمال القرآن للفظ المراد تفسير معناه، من خلال استقراء الآيات التي ورد فيها، ونضرب لذلك مثالا بكلامها عن كلمة (ويل) في مطلع سورة الهمزة، وهو قوله تعالى: ﴿ويل

لكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ [الهمزة / 1]، حيث تقول[68] : (ويل: كلمة عذاب وسخط. ويكثر استعمالها مَع هاء الندبةَ في التفجع عند الكوارث. وتأولها بعض المفسرين في آية الهمزة، بأنها "واد في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيحهم". ونستقرئ مواضع الاستعمال في القرآن الكريم للكلمة، فنجدها في أربعين موضعاً. منها ثلاث عشرة مرة، معرفة بالإضافة، في موقف التحسر والتفجع والندبة، بآيات: (القلم 31، هود 72، الفرقان 28، الكهف 49، الأحقاف 18، طه 61، القصص 80، الأنبياء 14، 46، 97، يس 52، الصافات 20، المائدة 31) . وباقي الآيات الأربعين، في سياق النذير من الله سبحانه.

وباستثناء آية الأنبياء: ﴿ولَكُم الْويل ممَّا تَصفُونَ﴾ معرفة بأل، جاءت "ويل" نكرة، بمثل الأسلوب في آية الهمزة. والنذير في كل آياتها من الله سبحانه، بويل، للكافرين، والمشركين، والمكذبين، والظالمين، والمطففين، والمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، والذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، والقاسية قلوبهم، وكل أفاك أثيم، وكل همزة لمزة. والوعيد فيها بويل: من مشهد يوم عظيم، ومن النار، وعذاب أليم، ومن يوم الدين، ويومهم الذي يوعدون، والنبذ في الحطمة. وفي هذا الاستقراء ما يكفي إدراكا لما للفظ ويلٍ من رهبة، وما يثير من خوف ورعب، دون أن نحتاج فيه إلى تأويل بواد في جهنم يسيل قيحاً، أحسبه من الإسرائيليات التي أدخل فيها اليهود عناصر من وصفهم لجهنم)

- سياق السورة: ويتضمن ماتعلق بسبب نزولها وزمانه ومكانه، وترتيبها في النزول، ومناسبة أولها لآخر السورة قبلها . ونجد لهذا النوع حضورا دائما في مستهل كل سورة، إذ تبين المؤلفة ماتعلق بسبب نزولها، وترتيبه، ومكانه وزمانه، كما تعرج على مناسبتها للسورة قبلها . وسنعرض لنموذج لهذا النوع من خلال سورة القلم في شأنها: (والمشهور أنها نزلت بعد العلق، فتكون ثانية السور في ترتيب النزول بعد "اقرأ". وهو الذي ذهب إليه أكثر الأئمة، ومهما يكن الخلاف في ترتيب نزول القلم، فهي من أوائل السور المكية المبكرة التي تهدينا إلى الجو العام في منزل الوحي، أول المبعث، وذكر بعضهم في أسباب نزولها أنها أو معظمها "في الوليد بن المغيرة المخزومي وأبي جهل بن هشام المخزومي، ومناسبتها لما قبلها أنه فيما قبلها ذكر

أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم الأرض أو لأرسل عليهم حاصباً. وكان ما أخبر تعالى به هو ما يلقنه رسول الله – ﷺ – بالوحي، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر ومرة إلى السحر ومرة إلى الجنون، فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم، والثناء على خلقه العظيم) [69].

- سياق الآية: وتعبر عنه المؤلفة أحيانا بسياق الموقف أو المقام، ويراد به السياق أو المقام الذي وردت فيه الآية، وتكشف عنه المؤلفة من خلال دراسة المقام الذي وردت فيه الآية وربطها بما قبلها من الآيات (السباق) وما بعدها (اللحاق)، ثم محاولة ترجيح المعنى المتسق مع طرفي هذا السياق الخاص للآية ونسوق لهذا مثالين بارزين:

1. مقام الإنذار في سورة العاديات: فبناء عليه فسرت المؤلفة معنى التحصيل بالإنذار لا بجمع الصحف كما رآه الزمخشري في قوله تعالى ﴿وحصل ما في الصدر﴾ [العاديات/10] . قال رحمه الله: (معنى حُصِّلَ جمع في صحف، أي: أظهر محصلا مجموعا) .

وقد ردت المؤلفة هذا المعنى بكونه لا يتسق مع مقام الإنذار في الآية بقولها أن في تأويل (حصل) في آية العاديات بمعنى جمع في الصحف، وأظهر محصلا مجموعا (جور على المعنى القوي المثير لقوله تعالى: ﴿وحصل ما في الصدور﴾) [العاديات /10]، فليس المقام هنا للجمع في الصحف[70]، وإنما المقام للإنذار بيوم ينكشف فيه ما طوى في الصدور، ويظهر ما تخفي الضمائر، وقد كان الظن الكاذب به أن يظل خفيا مستورا) [71] .

2. موقف الدهشة والإستغراب والخوف يوم القيامة في سورة النازعات، عند قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴾: اختلف المفسرون على أي وجه يحَمل الاستفهامَ في الآيَة، فقال الَزمخشريَ بحمله َعلى الاستبعاد والاستهزاء، و قال بعضهم بحمله على وجه التمني، أو الإنكار..

لكن الذي ارتأته المؤلفة[72] بناء على سياق الموقف أن (لا يحمل على وجه التمني الذي تصرف عنه الآية التالية، ولا وجه الاستهزاء الذي لا يمكن تصوره في مثل ذلك الموقف، ولا على وجه الإنكار الذي لا محل له مع الإحضار وتحقق البعث) وإنما الصواب ان يحمل على (وجه الدهشة والإستغراب والخوف، وحيرة المأخوذ برجفة القيامة بغتة!)، وهي إشارة لسباق الآيات قبل الواردة في هول يوم القيامة، وهي قوله تعالى ﴿ يوم ترجف الرَّاجفة (6) تتبعها الرَّادفة (7) قلوب يومئذ واجفة (8) أبصارها خاشعة (9) يقولون أإنَّا لمردودون في الحافرة (10) أإذا كنَّا عظاما نخرة ﴾ .

وتماشيا مع السياق المقامي للآية، تحرص المؤلفة على ربطها بلحاقها، لتستدل على اتساق معنى الإستغراب والخوف الذي رجحته مع المعاني اللاحقة، فتقول: (وقد مضى القول في استبعاد الاستهزاء في موقف القيامة ورجفة البعث. ويمنعه أيضاً أن الأستفهام في الآيتين السابقتين جاء مع فعل المضارعة ﴿يقولون﴾ الذي يعني الإحضار، أما الكرة الخاسرة فجاءت مع الفعل ماضياً ﴿قالوا﴾ وأتدبر هذا الانتقال من المضارعة إلى المضي، فأراه يهدي إلى بيان وجه المقول وتحديد الجو الذي قيلت فيه كل منهما، والدلالة على الحالة النفسية للقائلين في كل من الموقفين: بغتتهم رجفة القيامة، بما تبعها من هزة ووجيف وخشوع، فهم يقولون في دهشة المأخوذ ومن فوجئ بما لم يكن في حسابه قط: ﴿لمردودون في الحافرة؟ أإذا كنَّا عظاما نخرة﴾؟ . ولم يكن الموقف بحيث يحتاج إلى إجابتهم عما سألوا عنه، وقد قضي الأمر وصار كل هذا الذي كذبوا به واستبعدوه واقعاً مشهوداً. فلما عاينوا اليقين ﴿قالوا تلك إذاً كرَّة خاسرة﴾ في حسرة وندم ويأس) [73] .

2.2.2 أدوار السياق القرآني في التفسير البياني لبنت الشاطئ:

1. الدور الترجيحي: ونقصد بها ترجيح المؤلفة لمعنى أو وجه بياني محتمل، بناء على دلالة السياق عليه، ونمثل لهذا بترجيحها لمعنى الخبرية في قوله تعالى ﴿ألهاكم التكاثر﴾، باعتبار السياق المقامي دالا عليه، ففي مستهل تناولها لسورة التكاثر تورد المؤلفة قولا للإمام الرازي في المراد من قوله سبحانه (ألهاكم) (فيحتمل أن يكون إخبارا عنهم، ويحتمل أن

يكون استفهاما بمعنى التوبيخ والتقريع أي أألهاكم، كما قرئ ﴿أنذرتهم﴾ ﴿ أ أنذرتهم ﴾[البقرة: 6]، و﴿إذا كنا عظاما ﴾ ﴿أ إذا كنا عظاما﴾ [الإسراء: 49]) [74]

وترجح انطلاقا من سياق السورة المقامي أن الخبرية فيها (أوقع في الزجر وأبلغ في الوعيد، بما تشهد به على أن إلهاء التكاثر إياهم واقع قد كان فعلا، وليس المقام مقام استفهام، وإنما هو مقام بيان لما وراء هذا التكاثر العقيم الخاسر الذي ألهاهم وشغلهم عن التفكير في المصير) [75]

2. الدور الحجاجي: والمراد به اعتماد المؤلفة على دلالة السياق في مناقشة أقوال المفسرين ونقدها، بناء على حجة سياق الآية، ونمثل لهذا بتناولها لقوله تعالى في سورة الزلزلة ﴿ يومئذ تحدث أخباها بأن ربك أوحى لها﴾، فقد قال بعض المفسرين بأن الموحى إليه محذوف، ومعناه: (أوحى إلى ملائكته)، أي أن الموقف يحتاج إلى وساطة لإيصال الإيحاء إلى الأرض، (وهو ما يأباه السياق الذي يقتضي عكس ذلك)، كما فسرته وبينته بقولها: (فمع بناء "زلزلت الأرض" للمجهول، ومع قوة الفاعلية المستفادة صراحة من إسناد الإخراج والتحدث والزلزلة إلى الأرض، لا وجه لتقدير وساطة الملائكة، لإيصال الإيحاء إلى الأرض التي زلزلت زلزالها، وأخرجت أثقالها، وتحدث أخبارها. فالبيان يقوم على قوة هذه الفاعلية في تصوير هول الموقف الذي يدهش له الإنسان فيقول في عجب وقلق: مالها؟! فاقتضى أن يأتيه الجواب ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ تحدث به الأرض نفسها تلقائيا، فالإيحاء هنا للأرض مباشرة ليلائم إسناد التحدث إلى الأرض، وسر قوته في هذه التلقائية المباشرة على وجه التسخير[76].

3. الدور التعليلي: ويقصد به تعليل المؤلفة لمعنى في لآية أو وجه قرائي للفظ قرآني تضمنته، وذلك اعتمادا على مراعاة سياق ورودها، وسنمثل للأمرين ههنا بتفصيل:

فأما تعليل اختيارها لمعنى معين للآية استنادا إلى دلالة السياق عليه، فمثاله في سورة التكاثر: عند تناول معنى ودلالة التكرير بـ (ثم) في الآتين، عند قوله تعالى: (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾.

فالمؤلفة بداية تبين أن مما لا يخفى أن (الخطاب لمن ألهاهم التكاثر، وأن التكرار مبالغة في الزجر، وتأكيد للوعيد والنذير) كما فسره الطبري[77] والزمخشري[78] وغيرهما من أئمة التفسير، لكنهم اتجهوا إلى عدة تأويلات أخرى وإضافات نذكر منها ما ساقته من أقول، منها:

ما نقله الطبري عن الضحاك أن الاولى للمؤمنين، فهي وعد، والثانية للكفار، فهي وعيد[79]، وما أورده أبوحيان، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أن الاولى في القبور، ثم والثانية في البعث[80]، ويضيف الرازي عدة وجوه أخرى وجوه للتكرير في الآية (أحدها: أنه للتأكيد، وأنه وعيد بعد وعيد كما تقول: للمنصوح أقول لك، ثم أقول لك لا تفعل، وثانيها: أن الأول عند الموت، والثاني في سؤال القبر، والثالث: أن إحدى الحالتين عذاب القبر والأخرى عذاب القيامة، كما روي عن أبي ذر أنه قال: كنت أشك في عذاب القبر، حتى سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: إن هذه الآية تدل على عذاب القبر، وإنما قال: ثُم لأن بين العالمين والحياتين موتا..) [81]

والذي تراه بنت الشاطئ أن (النص القرآني في وضوح بيانه ليس بمسئول عن هذا الخلاف، ولا هو بحيث يوجه إلى تفسير الآية الواحدة بالنقيضين، فيستوى خطاب الكفار والمؤمنين، وأسلوب الوعد والوعيد في البيان المعجز!) [82] .

ثم توضح تعليلها لدلالة التكرير بـ(ثم) في الآية على أنه يفيد المبالغة والإنذار وهو ما يتساوق وجو الوعيد المسيطر على السورة كلها – كما ذهب إليه الزمخشري –، وتنقض بهذا التعليل المبني على دلالة سياق الآية – علة النحويين في إفادة حرف "ثم" للتراخي، ليقال (إن الآية الأولى عند الموت، والثانية في سؤال القبر. أو إن الأولى لعذاب القبر، والأخرى لعذاب القيامة..)، والحال أن دلالة السياق في الآيتين كلتيهما دالة على أن علة التكرير في الآيتين كلتيهما إنما هي المبالغة في ردع الذين ألهاهم التكاثر، وزجرهم وإنذارهم[83].

وأما تعليل اختيار أو ترجيح وجه قرائي: فنمثل له بتعليلها اختيار قراءة جمهور القراء ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ بكسر الزاي في (زلزلها)، وهي قراءة الأئمة السبعة، والفرق بين قراءتها

بالفتح والكسر، أن المكسور مصدر، والمفتوح اسم، وليس في الأبنية –كما قالوا – فَعلال بالفتح إلا في المضاعف[84]. ومحل استدالها بدلالة السياق قولها أن[85] (المصدرية أولى بالمقام، لما فيها من تأكيد يلائم السياق. ويؤيده تعين المصدرية في الآية الأخرى التي استعمل فيها القرآن هذه الصيغة، وهي آية ﴿ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ [الأحزاب 11].

3.2 أثر السياق القرآني في توجيه معاني الآيات ضمن سورتي الضحى والشرح:

1.3.2 سورة الضحى:

سنحاول ضمن هذا المطلب استقراء بعض المعاني التي اعتمدت بنت الشاطئ دلالة السياق القرآني في ترجيحها، من خلال سورة الضحى، وسنتوقف عند مسألتين اثنتين أولاهما (حذف كاف الخطاب من (قلى) عند قوله تعالى ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ [الضحى /3]، والثانية معنى (التحدث بالنعمة) في قوله تعالى ﴿وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ [الضحى/11] .

- حذف كاف الخطاب في قوله تعالى ﴿وما قلى﴾:

تشير المؤلفة إلى وقوف المفسرين عند حذف كاف الخطاب في قوله تعالى مخاطبا نبيه ﷺ : (وماقلى)، ثم تبين أقوالهم في تعليل هذا الحذف، وتورد بعد ذلك تعليلها الخاص استنادا الى دلالة السياق في الآيات. وسنعرض أولا أقوال المفسرين كما أوردتها وعقبت عليها، ثم نذكر ما ترجح عندها في تعليل هذا الحذف .

- أولا: أقوال أئمة التفسير في حذف كاف لخطاب في قوله تعالى (وما قلى)

جاء المفسرون بعدة تأويلات لحذف الضمير في (قلى)، منها:

- قول الزمخشري أن الحذف من قَلى هو اختصار لفظي لظهور المحذوف، وهو (كحذفه من الذّاكرات في قوله تعالى: (والذّاكرين اللَّه كَثيراً والذّاكرات)، يريد: والذاكراته ونحوه: فآوَى.. فهدى) [86]

- قول الإمام الطبري: وهو - كما ذكرت بنت الشاطئ — غير بعيد عن قول الامام الزمخشري، أن الحذف هنا جاء اكتفاء بفهم السامع لمعناه، إذ كان قد تقدّم ذلك قوله: (ما ودَّعك) فعرف بذلك أن المخاطب به نبي الله ﷺ [87] .

- قول النيسابوري أن حذف المفعول من «قلاك» و«آواك» و«هداك» و«أغناك» للفاصلة مع دلالة قرينة الحال أو المقال[88] . وقد عد الرازي أيضا هذا السبب ضمن وجوه ساقها في المسألة[89]، أحدها الإطلاق أي (أنه ما قلاك ولا [قلى] أحد من أصحابك ولا أحدا ممن أحبك إلى قيام القيامة)، وهذا توسع لا يعطيه صريح السياق خطاباً للمصطفى - ﷺ - بعد فتور الوحي- كما تقول الدكتورة عائشة[90].

كما ردت تعليل الحذف برعاية الفواصل، لكونه اعتبارا لفظيا محضا يبعد أن يكون مقصودا وحده في البيان القرآني، ولو كان كذلك لسارت على نسقه جميع فواصل الآيات حتى نهاية السورة، والحال أن (الحذف إنما هو لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل. ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا، لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ . وليس في السورة كلها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق، ولم يقل تعالى: فخبر، لتتفق الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به) [91]

➢ ثانيا: تعليل الدكتورة عائشة لحذف كاف الخطاب في (قلى) بمقتضى السياق القرآني للآية:

والذي ذهبت إليه المؤلفة، أن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف، وهو ترجيح بأحد أنواع السياق المعروفة، وهو (السباق)، أي: دلالة الكلام على ما بعده . فخطاب الله تعالى لنبيه ﷺ في

الآية السابقة بكاف الخطاب (ما ودعك)، دال على اتصال المعنى فيما بعدها. ولهذه الدلالة السياقية علاقة بمقام الخطاب الرباني لنبيه ﷺ ، هو مقام إيناس، لأن المفسرين مجمعون على أن سبب النزول، هو إبطاء الوحي في أوائله على الرسول - ﷺ - حتى شق ذلك عليه، وقيل فيما قيل: ودع محمداً ربه وقلاه[92]، فاقتضى ذلك تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في هذا السياق بعبارة: (ما قلاك)، لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة واللقاء) .[93]

✓ معنى (التحدث بالنعمة) في قوله سبحانه: (وأما بنعمة ربك فحدث) [الضحى/11]

تبعا لمنهج البحث، نستعرض أولا أقوال المفسرين التي وقفت عندها بنت الشاطئ، ثم نتبع ذلك رأيها في معنى الآية مع ايضاح وجه مراعاتها لدلالة السياق:

- اختلاف المفسرين في المراد من الآية :

تنقل لنا بنت الشاطئ اختلاف المفسرين في معنى النعمة، فمن قائل أنها النبوة، أو هي القرآن، فيما اتجه بعضهم إلى تفسيرها بالغنى . وقد أورد الامام الرازي القولين الأولين في أثناء تفسيره للآية. قال رحمه الله: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى/11) وفيه وجوه أحدها: قال مجاهد: تلك النعمة هي القرآن، فإن القرآن أعظم ما أنعم الله به على محمد عليه السلام، والتحديث به أن يقرأه ويقرئ غيره ويبين حقائقه لهم وثانيها: روي أيضا عن مجاهد: أن تلك النعمة هي النبوة، أي بلغ ما أنزل إليك من ربك) [94] .

وأما القول الثالث، فرجحه الامام محمد عبده في تفسيره، واستعان فيه بسياق الآيات، منبها إلى أنه لا يلائم تفسير النعمة بالنبوة، وإنما يفيد تأويلها بالغنى . قال رحمه الله: (وقد يقال أن المراد من النعمة النبوة، ولكن سياق الآيات يدل على أن هذه الآية مقابلة لقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا ﴾ فتكون النعمة بمعنى الغنى، ولو كانت بمعنى النبوة لكانت مقابلة لقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾) [95] .

كما اختلفوا كذلك في المقصود بالتحدث بها، فتأولوه بشكرها وإشاعتها [96]، لكن ما استشكلته بنت الشاطئ هو ذكرهم في التحدث بنعمة الله أنه إنما يحسن حين لا يكون ذلك عن رياء أو تشبه بأهل السمعة . وهذا رأي صريح للإمام الرازي في تفسير الآية، وإليه يشير رحمه الله، بقوله: (وثالثها: إذا وفقك الله فراعيت حق اليتيم والسائل، وذلك التوفيق نعمة من الله عليك فحدث بها ليقتدي بك غيرك، إلا أن هذا إنما يحسن إذا لم يتضمن رياء) [97] .وهذا— في نظرها— (احتياط في غير موضعه، فما كان يظن به – ﷺ – أن يقول في التحدث بنعمة الله مما يشتبه بالرياء والسمعة؟ ومن أي السبل يمكن أن نتصور احتمال الرياء والتشبه بأهل السمعة، ممن اصطفاه الله تعالى خاتماً للنبين، وقال فيه: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ؟) [98]

- رأي بنت الشاطئ في المراد بالنعمة والتحدث بها :

ترجح المؤلفة أن المراد بالنعمة في الآية، هو الرسالة . ولذلك فإن السياق يقتضي أن الأمر بالتحدث بها: هو أن يبلغها، ويؤدي كل ما اتصل بها، لكونها المهمة التي اصطُفي لها، ولأنها كذلك أكبر النعم التي يؤثر بها نبي مرسل[99]. وتأكيدا وتأييدا لهذا المعنى، تستدعي بنت الشاطئ سياق الآية وتصلها بالآيات الواردة قبلها، منبهة إلى أن ترتيبها دال على مهمة الرسالة ومراتبها . وبيان ذلك قولها: (فإن الله تعالى نبه رسوله الكريم إلى أن إصلاح الجماعة، يأتى في المنزلة الأولى من الإعتبار والتقدير، حين أجمل له في هذه الآيات الكريمة من مهمة رسالته: أن تدفع ذل الفاقدين، وقهر اليتامى، وحيرة السائلين، فهي رسالة إصلاح وهداية أُمر النبي – ﷺ – بالتحدث بها وتبليغها فهل﴿ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمبِينُ﴾ ؟[100]

2.3.2 سورة الشرح:

1. (ألم نشرح لك صدرك):

- معنى (الشرح) في الآية :

تنقل المؤلفة اختلاف المفسرين في المراد بشرح الصدر في الآية، على قولين:

الأول: أنه الشرح المعنوي للإيمان والهدى .

والثاني: أنه معنى مادي هو شق الصدر .

و قد أورد هذين القولين الامام الرازي في تفسيره للآية، قال رحمه الله: (وفي شرح الصدر قولان: الأول ما روي أن جبريل عليه السلام أتاه وشق صدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه من المعاصي ثم ملأه علما وإيمانا ووضعه في صدره.

والثاني أن المراد من شرح الصدر ما يرجع إلى المعرفة والطاعة، ثم ذكروا فيه وجوها أحدها: أنه عليه السلام لما بعث إلى الجن والإنس فكان يضيق صدره عن منازعة الجن والإنس والبراءة من كل عابد ومعبود سوى الله، فآتاه الله من آياته ما اتسع لكل ما حمله وصغر عنده كل شيء احتمله من المشاق) [101]

وسنقف مع القولين بتفصيل، ونورد ما جاءت به بنت الشاطئ في شأنهما، ثم نعرج على رأيها وترجيحها المعتمد على دلالة السياق القرآني في الآية .

- أقوال المفسرين :

✓ القول الأول: " الشرح" بمفهومه المعنوي

يرى أصحاب هذا القول أن الشرح المراد في الآية هو بمعناه المجازي لا الجقيقي، إذ يتضمن دلالات الفسحة والبسط والتوسعة: فالطبري يذهب إلى تفسيره بالهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق، ولين القلب ليكون وعاء للحكمة[102] . ويرى فيه الزمخشري دلالة على معنى الفسحة والسعة وجعل الصدر وعاء للعلم والحكمة. يقول رحمه الله: (فسحناه حتى وسع عموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا، أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم، أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل) [103]، وفسره الامام محمد عبده أيضا بقوله :"وقد شرح الله صدر نبيه بإخراجه من تلك الحيرة التي كان يضيق لها صدره، بما كان يلاقيه في سبيله من جمود قومه وعنادهم" [104]

✓ القول الثاني: الشرح بمفهومه المادي

القول بشرح الصدر بمعناه المادي أورده أبوحيان في تفسير الآية عن ابن عباس وجماعة أنها (إشارة إلى شق جبريل عليه السلام صدره في وقت صغره)[105]، كما نبه إليه الامام النيسابوري مستدلا (بما روي أن جبرائيل أتاه وشق صدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه من المعاصي ثم ملأه علما وإيمانا ووضعه في صدره)[106]، لكنه بين الاعتراض الوارد على ذلك (من جهة أن هذه الواقعة من قبيل الإعجاز فكيف يمكن تصديقها قبل النبوة؟ ومن جهة أن الأمور المحسوسة لا يقاس بها الأمور المعنوية) . ورد عليه قائلا: (وأجيب عن الأول بأن الإرهاص جائز عندنا، وعن الثاني بأنه يفعل ما يشاء، ولا يبعد أنه تعالى جعل ذلك الغسل والتنقية علامة تعرف الملائكة بها عصمته عن الخطايا)[107].

✓ قول الجمهور :

الذي ذهب اليه الجمهور أن المراد بشرح الصدر في الآية أمر معنوي، وقد اختلفوا في حقيقته، فقال بعضهم هو تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه[108]. وقال آخرون أنه (أمر معنوي وهو إما نقيض ضيق العطن بحيث لا يتأذى من كل مكروه وإيحاش يلحقه من كفار قومه فيتسع لأعباء الرسالة كلها ولا يتضجر من علائق الدنيا بأسرها، وإما خلاف الضلال والعمه حتى لا يرى إلا الحق ولا ينطق إلا بالحق ولا يفعل إلا للحق[109].

✓ رأي الدكتورة عائشة عبد الرحمن

ترى المؤلفة أن أول ما ينبغي أن ينظر آيات شرح الصدر في القرآن، لنرى هل هي خاصة بنبينا عليه الصلاة والسلام، فتتعلق بالمروى في السيرة عن شق الملائكة صدره، أيام كان طفلا ببادية بني سعد؟ أو أنها أقرب إلى الشرح المعنوي للإيمان والهدى؟

ونراها تتأسى في التماس معنى شرح الصدر بما فعله الراغب في المفردات، حين جمع بعض آيات شرح الصدر في القرآن، وفسره بأنه (بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه)[110] .

ثم تتبع معاني شرح الصدر في سياق آيات كثيرة، يترجح فيها أنه هدى الإيمان ونور الحق وراحة اليقين والسلام النفسي، ويبعد المعنى المادي لشرح الصدر.

منها آيتا النحل: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (106) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين (النحل /107) وآية الأنعام، وهي قوله تعالى: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون} . 125

والآيات المذكورة جميعها فيها أن الشرح للصدر، فقوبلت في "آية النحل" بغفلة الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وفي "الأنعام" بضيق الصدر وحرجه ورجس الكفر، وهذا ما يترجح معه القول بأن شرح الصدر طمأنينة نفس، وهدى إيمان، وارتياح إلى اليقين، كما و(يجعلنا نتردد في تفسير الصدر هنا بالجارحة كما ذهب النيسابورى) [111]

وبالاحتكام إلى السياق القرآني أيضا نجد لفظ (صدر) بصيغة المفرد، عشر مرات، كلها بلا استثناء، إما مع الشرح، وإما مع الضيق والحرج في آيات، يكون الخطاب فيها للرسول - ﷺ ، كقوله عز وجل :﴿وضائق به صدرك﴾ (هود/ 12)﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ (الأعراف 2/) ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾(الحجر / 97)

وكذلك آية الشعراء، حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ قال رب إني أخاف أن يكذبون (12) ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون﴾ (الشعراء 12، 13) .

كما ورد اللفظ بصيغة الجمع (صدور) في آيات كثيرة، منها ما اقترن بالشفاء ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ (التوبة 14) ﴿ وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (يونس 57)، ووسوسة الشيطان في آية الناس، ﴿من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس﴾، وبالغل في آيتي الأعراف والحجر ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ (الحجر 47)، والحصر، في آية

النساء: ﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾(النساء/ 90)، والرهبة في آية الحشر: ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ (الحشر/ 13).

والذي تخلص إليه المؤلفة بعد هذاكله أن جميع آيات القرآن لم يرد فيها معنى مادي لشق الصدر، بل كلها واردة في معنى الهدى والنور والشفاء، أو الضيق والحرج والضلال، تقول مبينة هذه الخلاصة: (وليس شيء من هذا كله، بالذي يجنح إلى معنى مادي كشق الصدر الذي هو جارحة. ولا مجال معه، لتزيد لا يحتمله صريح السياق، مما أفاض المفسرون في ذكره من علوم وحكمة، وهذه آيات القرآن جميعا في الصدور، لا تأذن لنا في مثل هذا التزيد، وهي في سياق الإيمان والهدى ونور الله والشفاء، أو الضيق والحرج والعسر والطمس والضلال والغل) [112] .

- معنى الفراغ في قوله تعالى: ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾

تتناول المؤلفة في الآية الأولى تحديد المحذوف في قوله تعالى(فإذا فرغت)، لأن الآية (لم تحدد مم يكون هذا الفراغ وفيم يكون النصب)، وتسرد أقوال المفسرين في تقديره، ثم تصرح أن العلة في ذلك (الإكتفاء بدلالة السياق، وجريا على مألوف البيان القرآني في السكوت عن التحديد في مقام الإطلاق) .لكن المفسرين تناولوا تقدير متعلق الفراغ والنصب، وقد جاءوا بأقوال ساقتها المؤلفة في أثناء تناولها للآية، وسنوردها تباعا ثم نأتي إلى رأيها وترجيحها المبني على دلالة السياق في الآية.

- ✓ أقوال المفسرين :

أورد الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل في متعلق الفراغ المراد في الآية، على ثلاثة أقوال: (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فإذا فرَغت من صلاتك، فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجاتك، وقال آخرون: بل معنى ذلك: (فإذا فرغت) من جهاد عدوك (فانصب) في عبادة ربك، وقال آخرون: بل معنى ذلك: فإذا فرغت من أمر دنياك، فانصب في عبادة ربك.

وقد عقب عليها بقوله: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن الله تعالى ذكره، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان به مشتغلا من أمر دنياه وآخرته، مما أدى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قربه إليه، ومسألته حاجاته، ولم يخصص بذلك حالا من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه، من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشتغلا لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوص حال فراغ، دون حال أخرى) .

وأما الزمخشري فقد ربط الآية بما قبلها، فقال: (لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على ألا يخلي وقتا من أوقاته منها. فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى). ورأى الشيخ محمد عبده في تقدير متعلق الفراغ بالأعمال النافعة له ﷺ ولأمته[113].

✓ رأي الدكتورة عاشة عبد الرحمن:

تصرح بنت الشاطئ بأن الآية لم تحدد مم يكون هذا الفراغ وفيم يكون النصب، إكتفاء بدلالة السياق، ولذلك (يتعين أن نصل الآية ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ بسياق الآيات قبلها، بحكم وجود "الفاء" الرابطة للآية بما قبلها. (فالآية مسبوقة بتأكيد اليقين بأن هذا العسر يصحبه يسر لا محالة)، وهو قوله تعالى ﴿ فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) ﴾ [الشرح/5-6]، (والله منجز وعده لا ريب، وسيعقب هذا ما يعقبه من فراغ البال من الحيرة والضيق والكرب والضنك، بعد إذن من الله على عبده بأن شرح له صدره ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، ورفع له ذكره.) وبناء على سياق الآيات هذا، تؤكد أنه (إذا لم يكن بد من تحديد متعلق الفراغ، فلسنا بحيث نطمئن إلى شيء فيه، غير ما سبقت به الآيات المحكمات: وهو أنه سبحانه قد أفرغ بال رسوله مما كان يجهده من حيرة ويثقله من وزر ينقض الظهر، وتفسر معاني هذا الإفراغ بأمور منها: (اليسر بعد العسر، والراحة النفسية بعد الشدة والكرب)، ثم تصل هذا المعنى بتتمة الآيات بعده، إذ الغاية

والمقصد أن (ينصب المصطفى لتكاليف رسالته وأعباء منصبه، بلاغا لرساله ربه، وجهادا في سبيلها) .

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة المتواضعة التي سعى فيها البحث إلى استقراء وتتبع معالم ومناحي إعمال المؤلفة لقرينة السياق القرآني واعتبارها في توجيه وترجيح وبيان معاني الآيات، يمكن أن نخلص للنتائج والخلاصات التالية:

أولا: عناية الدكتورة عائشة بدلالة السياق القرآني في تفسيرها للآيات وتناولها لجميع السور التي اشتمل عليها كتابها بجزأيه يدل على أهمية ومركزية اعتبار الدلالة السياقية في منهجها التفسيري، ويزداد هذا المعنى وضوحا حين نجد اعتمادها الكثير والمطرد على قرينة السياق في الحجاج ومناقشة أقوال المفسرين وقبول أو رفض بعضها تبعا لانسجامها أو مخالفتها لصريح السياق مقاليا كان أو مقاميا، ويدل على ذلك عبارات كثيرة من مثل قولها (وهو ما يأباه السياق)، أو (مما لايحتمله المقام)، أو (ملائم لجو الموقف) .

ثانيا: تتعدد انواع السياق القرآني في كتاب التفسير وتتنوع تبعا لموضوع السورة ومقتضى الآيات المتناولة، وفي ضوء ما وقفنا عليه يتبين أن هذا التنوع يخدم المعنى المراد ترجيحه أو بيانه، ولا تناقض ولا تنافر بين نوع السياق القرآني المستدل به من لدن المؤلفة والمعنى الذي تشير إليه الآية، بل السياق مؤيد ومرجح له وملتئم معه تمام الالتئمام وغاية الإنسجام.

ثالثا: للسياق القرآني في تفسير بنت الشاطئ أدوار كثيرة منها: الترجيحي، والتعليلي، والحجاجي، وتخدم جميعها منهج المؤلفة وأطروحتها السياقية في تفسير الآيات، وقد تبين اعتمادها الكثير عليها في توجيه أقوال المفسرين ورد بعضها ورفضه، كما تبين أثرها في توجيه معنى الآية بما ينسجم مع مقتضاها وما تحتف به من قرائن سابقة (سباق الآيات أو ورد ماقبلها)، أو لاحقة (لحاق الآيات أو ورد ما بعدها).

رابعا: يمكن أيضا ملاحظة امر هام في أثناء الحديث عن الخلاصات المستفادة من هذه الدراسة وهو غنى المصادر المعرفية والمناهل العلمية عند المؤلفة فيبناءها للحجة السياقية للآيات: فهي تنطلق من الاستعمال القرآني للفظ، وتنهل من آراء كتب اللغة والعربية، وتأخذ من أقوال المفسرين وآراهم، كما تستعين أيضا بأسباب النزول وترتيب السور حسب ذلك، وكل هذا مما يقوي حجتها البيانية في توجيه معاني الآيات وربطها بالقرائن والسياقات .

و انتهاء فإني لا أدعي الإحاطة الكاملة أو الدراسة الشاملة لمفهوم السياق القرآني وأثره في التفسير ضمن هذا الكتاب القيم للدكتورة عائشة، وحسبي أني قدمت نزرا قليلا وعملا ضئيلا، لاريب أنه محتاج إلى التصويب ويعوزه التسديد والترشيد والتجويد، حتى يصير شيئا مذكورا، وعملا مبرورا، ينقلب به صاحبه إلى أهله فرحا مسرورا . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.والحمد لله رب العالمين.

مصادر ومراجع البحث:

1. المصحف الشريف برواية الامام ورش.
2. دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية مراجعة منهجية للدكتور محمد اقبال عروي، طبعة روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، دولة الكويت . الطبعة 1، 2007
3. كتاب لموافقات للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م
4. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ

5. أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام، أعمال الندوة الدولية للرابطة المحمدية للعلماء، أيام 28/27/26 يونيو 2007 .
6. السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستر، اعداد الباحث عبد الرحمن المطيري، جامعة أم القرى (2008).
7. الإمام في بيان أدلة الأحكام المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م
8. معجم مقاييس اللغة للامام أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر سنة . 1979م.
9. التوقيف على مهمات التعاريف، للامام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990.
10. القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان - الطبعة: الثامنة، 1426 هـ -2005م.
11. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت - الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
12. المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة .

13. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) . تحقيق: أحمد محمد شاكر . الناشر: مؤسسة الرسالة . الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م .

14. السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، بحث للدكتور خليل العامري، منشور بمجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 2، سنة 2010 .

15. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة . دار طيبة للنشر والتوزيع . الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

16. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ) . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان . 1995 م .

17. إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم .

الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1421 هـ

18. دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد لاالوهاب رشيد صالح، السلسلة السياقية القرآنية ن رقم 1 الطبعة الثانية . دار عمان للنشر والتوزيع . 2012 .

19. الأمثال في القرآن: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ، المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد)، مكتبة الصحابة – مصر- الطبعة: الأولى 1406 هـ - 1986 م.

20. العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم، أعده محمد العلاونة، دار البشائر الاسلامية ط الاولى، 2011، بيروت لبنان .

21. كتاب مع المصطفى ﷺ ، للدكتور عائشة عبد الرحمن، دار المعاف . 1992.

22. مفاتيح الغيب: التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

23. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات دار الكتب العلميه – بيروت ط الأولى .

24. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، على شبكة الانترنت .

25. تفسير القرآن الكريم، للامام الشيخ محمد عبده جزء عم، ط الثالثة، مطبعة مصر 1341هـ .

26. مفردات في غريب القرآن: المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي.

27. لتبيان في أقسام القرآن: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

28. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق . للدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي .

29. دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير بن جرير الطبري .أطروحة دكتوراه للدكتور عبد الحكيم بن عبد الله القاسم . نوقشت سنة 1421 بكلية اصول الدين بجامعة الامام محمد سعود الاسلامية بالسعودية .

30. دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة محمد الامين الشنقيطي: دراسة موضوعية تحليلية . اعداد احمد المطيري . رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في التفسير، بكلية الدراسات العليا بالجامعة الاردنية سنة 2007 .

31. أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، رسالة مقدمة لنيل

درجة الماستر، اعداد تهاني بنت سالم باحويرث، كلية اصول الدين بجامعة أم القرى، 2007 م.

الهوامش:

[1] - دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية: ص 25

[2] - الموافقات للشاطبي : 3/419-420

[3] - السياق وأهميته في سلامة الاستدلال وتحديد مطلوب الخبر، بحث للدكتور أنس وكاك، منشور ضمن أعمال الندوة الدولية للرابطة المحمدية للعلماء، بعنوان: (أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العممل بالأحكام) . ص 445-446

[4] - أخرجه البخاري في صحيحه، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، ومايكره منه، الحديث رقم: 6145

[5] - السياق وأهميته في سلامة الاستدلال وتحديد مطلوب الخبر، بحث للدكتور أنس وكاك، منشور ضمن أعمال الندوة الدولية للرابطة المحمدية للعلماء، بعنوان: (أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العممل بالأحكام) . ص 445-446

[6] - الإمام في بيان أدلة الأحكام، ص 159-160

[7] - الإمام في بيان أدلة الأحكام، ص 159-160

[8] - حضور اعتبار السياق في الكتاب والسنة وعمل السلف والخلف، بحث للدكتور عبد الهادي احميتو، منشور ضمن أعمال الندوة الدولية للرابطة المحمدية للعلماء، بعنوان: (أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العممل بالأحكام) . ص 143- 201

[9] - مقاييس اللغة :2/259-260

[10] - المفردات: 1/116-117

[11] - لسان العرب: 11/249

[12] - القاموس المحيط: 1/1000

[13] - تاج العروس: 25/475

[14] - لسان العرب: 10/167

[15] - مقاييس اللغة: مادة سوق 3/117

[16] - لسان العرب: 10/166

[17] - لسان العرب: 10/167

[18] - التوقيف على مهمات التعاريف: ص 200

[19] – القاموس المحيط :895/1

[20] – لسان العرب: 166/10

[21] – الصحاح: 1499/4

[22] – المعجم الوسيط: ص 464

[23] – المعجم الوسيط: ص 464

[24] – المعجم الوسيط: ص 464

[25] – طه جابر العلواني: السياق: المفهوم والمنهج والنظرية، ص 15

[26] – طه جابر العلواني: السياق: المفهوم والمنهج والنظرية، ص 15

[27] – السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير ص 71

[28] – المصدر السابق ص 65/64

[29] – السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، ص 65/64

[30] – المرجع السابق ص 65

[31] – السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى، ص 22: (نقلا عن دراسة موسومة ب: " السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير).

[32] – جامع البيان للطبري: 294/10 .

[33] – جامع البيان للطبري: 3/337-338 .

[34] – جامع البيان للطبري: 327/09 .

[35] – جامع البيان للطبري: 90/17 .

[36] – جامع البيان للطبري: 217/2 .

[37] – السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، ص 6 – 54

[38] – قال رحمه الله: (واختلفوا فيه على قولين: أحدهما: أن المراد بالإحصان هاهنا الإسلام. روي ذلك عن عبد الله بن مسعود، وابن عمر، وقيل: المراد به هاهنا: التزويج. وهو قول ابن عباس الأظهر –والله أعلم–أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم﴾ والله أعلم. والآية الكريمة سياقها كلها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله: (فإذا أحصن) أي: تزوجن، كما فسره ابن عباس ومن تبعه) . تفسير ابن كثير: 261-262/2

[39] – قال رحمه الله: (وقول من قال من العلماء: إن المراد بالإحصان في قوله: فإذا أحصن الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية ؛ لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال: ومن لم يستطع منكم طولا الآية، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصه: والأظهر والله أعلم أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج ؛ لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى: ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات، والله أعلم. والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله: فإذا أحصن أي: تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره. اه محل الغرض منه بلفظه.فإذا علمت ذلك فاعلم أن في قوله

تعالى: والمحصنات من النساء الآية، أوجه من التفسير هي أقوال للعلماء، والقرآن يفهم منه ترجيح واحد معين منها) . أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: 233

[40] – إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: ص 121

[41] – الأمثال في القرآن لابن قيم الجوزية: ص 57

[42] – دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: ص 89/88 .

[43] – العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم، أحمد العلاونة، ص 100

[44] – تقول متحدثة عن والدها المتصوف أثره في تربيتها وتنشئتها الدينية، وارتباطها المبكر بالقرآن الكريم، في مقدمة كتابها (مع المصطفى ﷺ): " مع المصطفى ﷺ عشت من يوم مولدي، آيات معجزته كانت أول ما يصل إلى سمعي مع نور الفجر، يتلوها والدي التقي العابدرضي الله عنه في تهجده وصلاته، وسيرته الزكية العطرة كانت أنس دنيانا، والمدائح النبوية والاناشيد الصوفية كانت أول ما لمس وجداني وأرهف احساسي من يوم أن بدأت خطوتي الأولى على درب الحياة)، كتاب مع المصطفى ﷺ ، ص11.

[45] – المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، على شبكة الانترنت .

[46] – أمين الخولي (1855-1966 م): من علماء الأزهر بمصر، له مؤلفات، منها: (فن القول)، (مالك بن أنس)، (الأزهر في القرن العشرين)، (الأدب المصري)، (الجندية في الإسلام)، (من هدي الرسول)، (مشكلات حياتنا اللغوية) .انظر ترجمته في كتاب أفرده الدكتور حسين نصار بعنوان: (أمين الخولي: ص 7)، وكتاب (أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد، تأليف يمنى طريف الخولي: ص 22)، و(الأعلام للزركلي 2/ 16) .

[47] – طبع ضمن سلسلة الكتاب الفضي القاهرة، سنة 1952 م

[48] – طبعة دار المعارف القاهرة، 1948 م

[49] – سلسلة الكتاب الفضي القاهرة، سنة 1952 م

[50] – سلسلة الكتاب الذهبي، القاهرة 1952م

[51] – المكتبة العربية، القاهرة 1957

[52] – الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2002

[53] – الطبعة الثانية، دار المعارف 1970 م .

[54] – الطبعة التاسعة دار المعارف 1977 مصر.

[55] – حققت هذه الرسالة عن نسختين أصيلتين بالخزانة الملكية بالرباط، الطبعة الثانية 1987 . دار المعارف . مصر.

[56] – الطبعة الثالثة، دار المعارف 1984 م .

[57] – الطبعة الثانية، دار المعارف 1969 م .

[58] – الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين بيروت لبنان 1980 م .

[59] – طبع سنة 1972 م .

[60] – التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 9

[61] – التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 11/10

[62] – التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 11

[63] – التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 13

[64] – التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 14

[65] – التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 14

[66] – التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 18

[67] – التفسير البياني: 7/2

[68] – التفسير البياني: 167/2

[69] – التفسير البياني: 39/2

[70] – التفسير البياني: 117/1

[71] – قال رحمه الله: (قوله: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: كلا ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يلهيكم التكاثر. وقوله: (سوف تعلمون) يقول جل ثناؤه: سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، أيها الذين ألهاهم التكاثر، غب فعلكم، واشتغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة الله ربكم. قوله: (ثم كلا سوف تعلمون) يقول: ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر بالأموال، وكثرة العدد، سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، ما تلقون إذا أنتم زرتموها، من مكروه اشتغالكم عن طاعة ربكم بالتكاثر. وكرر قوله: (كلا سوف تعلمون) مرتين، لأن العرب إذا أرادت التغليظ في التخويف والتهديد كرروا الكلمة مرتين.

الرازي: مفاتيح الغيب 580/24–581 .

[72] – التفسير البياني: 137/1

[73] – التفسير البياني: 137/1

[74] – التفسير البياني: 195/1

[75] – التفسير البياني: 195/1

[76] – التفسير البياني: 92/1

[77] – قال رحمه الله: (قوله: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: كلا ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يلهيكم التكاثر. وقوله: (سوف تعلمون) يقول جل ثناؤه: سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، أيها الذين ألهاهم التكاثر، غب فعلكم، واشتغالكم

بالتكاثر في الدنيا عن طاعة الله ربكم. قوله: (ثم كلا سوف تعلمون) يقول: ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر بالأموال، وكثرة العدد، سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، ما تلقون إذا أنتم زرتموها، من مكروه اشتغالكم عن طاعة ربكم بالتكاثر. وكرر قوله: (كلا سوف تعلمون) مرتين، لأن العرب إذا أرادت التغليظ في التخويف والتهديد كرروا الكلمة مرتين.الرازي: مفاتيح الغيب 580/24-581 .

[78] – قال رحمه الله : (﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي الناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه . ﴿ سوفَ تَعلَمونَ ﴾ إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم. والتكرير: تأكيد للردع والإنذار عليهم. و﴿ثُمَّ ﴾دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل. والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله، وإنّ هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم. ثم كرر التنبيه أيضا وقال﴿ لَو تَعلَمونَ ﴾ محذوف الجواب، يعني: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين، أى: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها هممكم: لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه، ولكنكم ضلال جهلة) . الكشاف للزمخشري 792/4

[79] –الطبري: جامع البيان 580/24

[80] – أبوحيان: البحر المحيط 536/10

[81] – الرازي: مفاتيح الغيب 32 /272 .

[82] – التفسير البياني: 202/1

[83] – التفسير البياني: 202/1

[84] – التفسير البياني: 83/1

[85] – التفسير البياني: 83/1

[86] –الكشاف 766/4

[87] – جامع البيان في تأويل القرآن م485/24

[88] – غرائب القرآن ورغائب الفرقان 516/6

[89] – يقول رحمه الله: (وفي حذف الكاف وجوه أحدها: حذفت الكاف اكتفاء بالكاف الأولى في ودعك، ولأن رؤس الآيات بالياء، فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف وثانيها: فائدة الإطلاق أنه ما قلاك ولا [قلا] أحد من أصحابك ولا أحدا ممن أحبك إلى قيام القيامة، تقريرا لقوله: «المرء مع من أحب» . مفاتيح الغيب 192/31

[90] – التفسير البياني: 34/1

[91] – عائشة عبد الرحمن التفسير البياني: 35/1

[92] – عائشة عبد الرحمن التفسير البياني: 23/1

[93] – عائشة عبد الرحمن التفسير البياني: 35/1

[94] - مفاتيح الغيب 201/31

[95] - تفسير القرآن الكريم، جزء ص 113

[96] - منهم الزمخشري والفخر الرازي، التفسير البياني: 53/1-54

[97] - مفاتيح الغيب 201/31

[98] - التفسير البياني 54/1

[99] - البياني 54/1

[100] - التفسير البياني 54/1

[101] - مفاتيح الغيب 205/32-206

[102] - جامع البيان في تأويل القرآن 493/24

[103] - الكشاف: 770/4

[104] - تفسير القرآن الكريم ص 114

[105] - البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت . 1420 هـ 499/10

[106] - نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ) غرائب القرآن ورغائب الفرقان . تحقيق: الشيخ زكريا عميرات دار الكتب العلميه – بيروت . ط الاولى . 1416 هـ 521/6

[107] - نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ) غرائب القرآن ورغائب الفرقان . تحقيق: الشيخ زكريا عميرات دار الكتب العلميه – بيروت . ط الاولى . 1416 هـ 522/6

[108] - البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت . 1420 هـ 499/10

[109] - غرائب القرآن ورغائب الفرقان . 522/6

[110] - المفردات ص 449

[111] - التفسير البياني : 60/1

[112] - التفسير البياني : 61/1

[113] - تفسير جزء عم ص 117